

أحاديث رمضان ١٤٢٨هـ - قوانين القرآن الكريم - الدرس (٤٠٤ - ٢١) : التعسir والتسير -  
التسير له ثمن والتعسir له سبب

لضيّلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٧-٩-٢٣

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنَا من  
ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات.

## حقائق في قانون التيسير والتعسir:

### مقدمة وجيزة:

#### ١ - كلمات لا حقيقة لها:

أيها الإخوة الأكارم، مع درس جديد من دروس سنن الله في خلقه، والموضوع اليوم قانون التيسير  
والتعسir.

هناك عند الناس مقولات عديدة وكثيرة ومنتشرة: فلان يده خضراء، فلان لا حظ له، فلان قلب  
الدهر له ظهر المجنّ، فلان فوق الريح، فلان كيما يتحرك يأتي واقفا ، هذا كله كلام ما له معنى،  
ولا يستند إلى واقع.

#### ٢ - أفعال العباد بيد الله عز وجل:

الحقيقة الأولى في قانون التيسير والتعسir: أن أفعال العباد بيد الله عز وجل، أنت مخير، لكنك  
مخير أن تتبع إلى عمل ما، أما آلية العمل فيبتدئ الله عز وجل.

( وَكَذِلِكَ تُؤَلَّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ )

(سورة الأنعام)

الحقيقة الأولى في الموضوع أن الله سبحانه وتعالى بينها، هذه الحقيقة الأولى فيها قصص كثيرة:

## قصة سيدنا موسى عليه السلام:

مثلاً: سيدنا موسى: لما رأى فرعون في الرؤيا أن طفلاً من بنى إسرائيل سيقضي على ملكه، أخذ قراراً سريعاً بقتل كل أبناء بنى إسرائيل، وأية مولدة لا تخبر عن مولود ذكر تُقتل مكانه، انتهى الأمر، لكن هذا الطفل الذي سيقضي على ملكه فقد رباء في قصره، كيف رباء في قصره؟ أمه خافت عليه من القتل، فألقته في اليم، تصور صندوقاً يتحرك في نهر، هذا بيد من؟ من سيره؟ الفكرة الآن أدق، أدق الجزئيات، كل الحركات والسكنات بيد الله.

( وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمٌّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتِ عَلَيْهِ فَالْأَقِيهِ فِي الْيَمِّ )

(سورة القصص)

والله شيء عجيب:

( فَإِذَا خَفَتِ عَلَيْهِ فَالْأَقِيهِ فِي الْيَمِّ )

( وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُوهُ إِلَيْكِ وَجَاءُوكُم مِّنَ الْمُرْسَلِينَ )

(سورة الأنعام)

هناك أمران، ونهيان، وبشارتان، يُلقى طفل صغير في صندوق خشبي في النهر، ونهر النيل كالبحر:

من سيره إلى جانب قصر فرعون؟

من أوقفه عند غصن إلى جانب الشاطئ؟

من ألمهم امرأة فرعون أن تأتي إلى الشاطئ ففوجئت بهذا الصندوق، ففتحته؟

من ألقى محبته في قلب امرأة فرعون؟

الشعور بيد الله، والحركة بيد الله، حركة الجماد وحركة الحيوان، وحركة الإنسان، والمياه، والرياح، والانبعاث، والمشاعر، كلها بيد الله.

( لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعُنَا أَوْ تَنْخَدِهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ )

(سورة القصص)

( فَالْتَّقْطُهُ الْأَلْ فِرْعَوْنَ لَيَكُونَ لَهُمْ عَذَّوْا وَحَزَّنَا )

(سورة القصص الآية: ٨)

لامُ المآل،] ليكون [هذه اللام في فلا يعقل أن تلتقط طفلاً ليكون لك عدواً، أما في النهاية فالذي كان أن ملك فرعون انتهى على يد هذا الطفل.

الأمر بيد الله، قضية دقيقة جداً، حياتك، رزقك، بيتك، زوجتك، أولادك، من حولك، من فوقك، من تحتك، المخلوقات، الحيوانات، كل شيء حولك بيد الله، رفعتك بيد الله، رزقك بيد الله، سعادتك بيد الله، أمنك بيد الله، خوفك بيد الله، شريان القلب التاجي بيد الله، نمو الخلايا بيد الله، سيولة الدم بيد الله، هذا الإيمان، كل شيء بيد الله.

( وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ أَعْنَدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ )

( سورة هود الآية: ١٢٣ )

## التوحيد أساس كل شيء:

حينما تؤمن أن يد الله وحدها تعمل، وأنه لا معطي، ولا مانع، ولا مزع، ولا مذل، ولا خافض، ولا رافع، ولا مكرم، ولا مهين إلا الله، وأن كل علاقتك مع الله، حينما تؤمن بهذا الإيمان توحد وجهتك إلى الله، وتعقد الأمل على الله، ولا تخشى إلا الله، ولا تخاف إلا الله، ولا ترجو إلا الله، ولا تضع الأمل إلا بالله، ولا تتبعي إلا ما عند الله ، هذا هو التوحيد.

فذلك ما علاقة هذه المقدمة بالتبسيير والتعسیر ؟

لأن الأمر بيده، أمر زوجتك بيده، إما أنها تكون مطواحة بشكل رائع، التعامل معها سلس، أو أن ترى أنها قطعة من الجحيم، قد تكافأ بزوجة صالحة، وقد يؤدب الإنسان بزوجة تريه النجوم في الظهر، وقد يصلح له زوجة سيئة، الأمر بيده الله، بأدق التفاصيل، من أدق التفاصيل إلى أكبر التفاصيل، من خدش عود إلى حرب أهلية، إلى اجتياح، إلى احتلال.

حينما توحد حلت أربع أخmas مشكلاتك، حينما توحد، ألا ترى مع الله أحدا، لذلك هذا الكلام يلخص بهذه المقوله: كل شيء وقع أراده الله، معنى أراده أي سمح به فقط، قد يريد شيئاً، ولم يؤمر به، قد يريد شيئاً، ولم يرض عنه، أنت مخير، هو يتلك مخير.

أنت المخلوق الأول، أنت المخلوق المكرم، أنت المخلوق المكلف، لو ألغى الله حرمتلك لانتهى التكليف، انتهى حمل الأمانة، انتهت الجنة، انتهت النار، انتهى الثواب، انتهى العقاب، أنت مخير، وجئت إلى الدنيا على هذا الأساس، أنت مخير، ويمكن أن تفعل شيئاً أصررت عليه، والله لا يرضى أن تفعل هذا الشيء، كما لم يأمرك أن تفعله.

قال علماء العقيدة: أراد ولم يأمر ، أراد ولم يرض.

أنت صيدلي، وتحتاج إلى موظف ليعينك بعد الظهر، أردت أن تتحنه، فأتيت له ببعض الأدوية، وقلت له: ضع هذه الأدوية في أماكنها في هذه الصيدلية، هذه فيتامينات، هذه سموم، هذه مضادات حيوية، هذه مقويات، فأخذ دواء السموم ليضعه مع الفيتامينات، إذا منعته فقد ألغى التكليف، ألغى الامتحان كله، وإذا سكتت فأنت أقوى منه، بإمكانك أن تمسك يده ضعها هنا، التغى الامتحان، الامتحان التغى كلياً.

فإله عز وجل أراد ولم يرض، أراد ولم يأمر، أي سمح به، لأنه لا يليق أن يقع في ملك الله ما لا يريد، إله عظيم يقع في ملك ما لا يريد ؟ هذا لا يتناسب مع ألوهية الإله العظيم.

## كل شيء وقع أراده الله، وكل شيء أراده الله وقع لحكمة:

إذا كل شيء وقع أراده الله، بمعنى سمح به، وكل شيء أراده الله وقع، شيء وقع أراده الله لحكمة بالغة بالغة، شيء لم يقع أراد الله أن لا يقع لحكمة بالغة بالغة بالغة، فالذي وقع أراده الله أي سمح به لحكمة بالغة، وقد يكون الذي أوقعه مجرماً.

لذلك قالوا: لكل واقع حكمة، قد يقع الشيء في الظاهر فيه أذى كبير، لكن لأن الله سمح به هناك خير كبير، علمه من علمه، وجهله من جهله، كل شيء وقع أراده الله ، وكل شيء أراده الله وقع، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة.

أيها الإخوة، نقول: الله عز وجل عدل مطلق، حكمته مطلقة، كيف؟ إذا كان هناك ستة آلاف مليون إنسان، وواحد ظلم، هذا يتناقض مع عدل الله، إذا ظلم عصافور فهذا يتناقض مع عدل الله، لأن عدل الله مطلق، أما عدل الإنسان فنسبة.

أصدر قاضي ألف حكم خلال ثلاثين سنة، منها خمسة أحكام فيها ظلم لضعف المعلومات، يسمى عند أهل الأرض قاضيا عدلا، لأن الأحكام للإنسان نسبية، أما الأحكام المتعلقة بذات الله مطلقة.

إن كل شيء وقع أراده الله، وكل شيء أراده الله وقع، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة، ما معنى بالحكمة المطلقة؟ أن الذي وقع لو لم يقع لكان الله ملوماً، وأن الذي وقع لو لم يقع لكان نقصاً في حكمة الله، كل شيء وقع أراده الله، وكل شيء أراده الله وقع، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة، وحكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق، خير مطلق.

## كلمات عند العوام ليست مشروعة:

أيها الإخوة الأحباب، الشر المطلق لا وجود له في الكون، الشر المطلق يتناقض مع وجود الله، لا يمكن أن يكون هناك شر مطلق، إلا أن الشر نسيبي، والله سبحانه وتعالى يوظفه للخير المطلق، هذه مقدمة.

قد تقول الأم: هذه البنت مسكينة لا حظ لها، هذا كلام لا معنى له، فلان قلب له الدهر ظهر الجن، هذا كلام لا معنى له، فلان أقبلت عليه الأيام تسره، هذا كلام لا معنى له، ما هي الأيام؟ ما هو الدهر؟ ما هو الدهر الذي قلب لك ظهر الجن؟ فلان يده خضراء، فلان أينما تحرك يأتي واقفا، هذه كلها كلمات لا معنى لها.

فَمَا مَنْ أَعْطَى وَأَتَقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَيِّسَرُهُ لِلْيُسْرَى

هناك معنى واحد، التيسير والتعسیر له قانون، القانون الذي ينتظم التيسير والتعسیر هذه الآية:

( فَمَا مَنْ أَعْطَى وَأَتَقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَيِّسَرُهُ لِلْيُسْرَى )

(سورة الليل)

من هو ؟ الذي آمن بالأخرة، آمن أنه مخلوق للجنة، وبناء على هذا الإيمان اتقى أن يعصي الله، وبنى حياته على العطاء، يعطي من وقته، من ماله، من علمه، من جاهه.

( فَمَا مَنْ أَعْطَى وَأَتَقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَيِّسَرُهُ لِلْيُسْرَى )

أموره ميسرة

إنه قانون التيسير والتعسیر لا غير:

أحياناً يقول لي شخص: كل الإشارات خضراء، وأنا أمشي، أحياناً كل إشارة حمراء ٧٦ ثانية، الثانية حمراء، والثالثة حمراء، بعد هذا يغضب، بدءاً من الإشارات ، وانتهاءً بالمهما:

( فَسَيِّسَرُهُ لِلْيُسْرَى )

زواجه موفق، زوجة صالحة تسره عن نظر إليها، تحفظه إن غاب عنها، تطيعه إن أمرها، وأحياناً تزيه النجوم ظهراً، يقول له: بلاء من الله، ما ارتحت معها يوماً، الزواج تيسير، والعمل تيسير، والرزق تيسير، والصحة تيسير، أحياناً خطأ بسيط في الجسم يقلب حياة الإنسان إلى جحيم، أحياناً خطأ بتناول دواء له مضاعفات خطيرة جداً.

يا أيها الإخوة، أحياناً يجري إنسان عملية استئصال كلية متوقفة عن العمل، ويعيش الإنسان عمراً مديداً بكلية واحدة، لكن الطبيب ينزع له الكلية السليمة، وقد قال لي أخ: والذي مكث عشر سنوات في غسيل كلية، لأنه أخطأ الطبيب معه فاستأصل الكلية السليمة، فهناك توفيق في الصحة، وتوفيق في الزواج، وتوفيق في العمل، وتوفيق في العلاقات العامة، وتوفيق في كسب الرزق، وتوفيق في إنفاق المال، وتوفيق في السفر.

قد يسافر الرجل، ووضع المحفظة في سيارة مكشوفة في القسم الخلفي، ثم ذهب ليصللي فسرقت المحفظة، قال لي: بقيت مدة شهرين حتى أخذت وثيقة مغادرة، الأمور معقدة جداً، وأحياناً الأمور ميسرة مريحة، وأحياناً معسراً، فكلمة ( صدفة )، وكلمة ( محظوظ )، و( يده خضراء ) هذا كلام فيه شرك، لأن هناك تيسيراً وتعسيراً.

( فَمَّا مَنْ أَعْطَى وَأَتَقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَيِّسَرُهُ لِلْيُسْرَى )

أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى \* وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى

( أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى \* وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى )

( سورة الليل )

آمن بالدنيا، وكذب بالأخرة، لأنه آمن بالدنيا فاستغنى عن طاعة الله، ولأنه آمن بالدنيا، واستغنى عن طاعة الله، بنى حياته على الأخذ، فلذلك هذا الإنسان أينما تحرك كانت الأمور معسرة، فلا سعادة، ولا توفيق، ولا يسر، ولا عسر، فأينما تحرك كان الباب مغلقا، والجواب: مع عدم المموافقة، وكلما طرق باب يجده مغلقا، فيجب أن تتنبه.

حدثني أخ من إخواننا الكرام، وله مكانة، يعمل بحرفه راقية، بحاسوب صناعي، هو خبير كبير فيه، حدثني فقال: طلب مني إنسان إصلاح حاسوب معمل فطلب مبلغاً ضمن قناعتي، وهو مبلغ مناسب، لكن الرجل شدد عليه، وحاسبه، وطلب منه يخفض السعر بإلحاح كبير حتى أضجره، فقال له: أنا لست بحاجة لك، أنت بحاجة لي، تحب أن آتي إليك فادفع المبلغ؟ أنا جاهز بهذا الرقم، قال له: تعال، أقسم لي هذا الأخ في خلال عشر سنوات أو أكثر الأمر يحتاج ساعتين أو ثلاثة، الأمر على الإنجاز، قال لي: أول يوم للمساء لم يصلح، ما كشفت أين الخلل، ثاني يوم، ثالث يوم، رابع يوم، خامس يوم، سادس يوم، أقسم بالله تسعه أيام ما اهتمى للحل، بعدها طلب إجازة، راجع نفسه، أين الخطأ؟ قال: أنا قلت له: أنا لست بحاجة لك، أنت بحاجة لي، وهذه الكلمة تجبر، فتاب إلى الله، دفع صدقة، قال لي: عاشر يوم في ربع ساعة حلت القضية.

أحياناً تعسر الأمور، وأحياناً تيسر، أحياناً هذا الموظف يخطر بباله أن يطالبك بوثيقة كان ممكناً إلا يطالبك بها، تكلف ثمانية أيام سفر، وتصديق، فتجد أنه قد خرجت من جلدك على هذا الطلب الذي لا يطلب دائماً، هكذا خطر ببالك أن يطلب منك، وأحياناً تحس أن هذا الموظف راغب في أن يعينك بشكل واضح.

عن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ: (( يَا مُقْلِبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا بِكَ، وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهُنَّ تَخَافُ عَلَيْنَا ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقْبَلُهَا كَيْفَ يَشَاءُ ))

[ الترمذى ]

إذا كنت تستحق التكريم يلقي الله محبتك في قلوب الخلق، فيعينونك، وإذا كان الإنسان يستحق التأديب يلقي الله البعض في قلوب الخلق، فيتقنون بإحراجه، يتقنون بإزعاجه، يتقنون بتعقيد الأمر عليه.

التيسير مريح جداً أيها الإخوة، والتعسir صعب جداً، التيسير مريح وله ثمن، والتعسir مزعج وله سبب، التيسير له ثمن، والتعسir له سبب.

أيها الإخوة، الأصل في هذا الموضوع هذه الآية:

(فَإِمَّا مَنْ أَعْطَى وَآتَقَى \* وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى \* أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَأَسْتَغْنَى \* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى \* فَسَيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى )

لماذا كذب بالحسنى، واستغنى عن طاعة الله، وبنى حياته على الأخذ؟ من أجل أن يجمع المال الوفير كي يستمتع به في الدنيا، قال:

(وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى \* إِنَّ عَلِيْنَا لِلْهُدَى )

(سورة الليل)

التيiser له ثمن و التعسir له سبب:

أيها الإخوة الكرام، قضية التيسير والتعسir شيء مهم جداً في حياتك، مهم بزواجهك مهم بعمالك، مهم بدراستك، فقد تجد أستاذًا في جامعة أجنبية من أصل يهودي يتقن في إزعاجك، يتقن بوضع العراقيل أمام شهادتك، وطالب آخر مع أستاذ آخر، الأمر مسيـر.

التيiser والتعسir موضوع مهم جداً في حياتنا، وله ثمن، التعسir له سبب، التيسير له ثمن.

وَمَنْ يَتَّقَ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا

لكن أيها الإخوة، هناك آية والله الذي لا إله إلا هو لو لم يكن في القرآن إلا هذه الآية لكتـتـ، قال:

(وَمَنْ يَتَّقَ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا )

(سورة الطلاق)

مستحيل وألف ألف مستحيل أن تتقـيـ الله، ثم لا تجد التيسير والراحة النفسية، أن تتقـيـ الله، ثم لا تجد أن كل من حولك في خدمتك، إذا يسر الله الأمور يخدمك عدوك، وإذا عسر الله الأمور يتطاول عليك أقرب الناس إليك.

عموم التقوـى:

فلذلك:

(وَمَنْ يَتَّقَ اللَّهَ )

من يتقـيـ الله في الاختيار زوجتك،

(يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا )

من زوجة سيئة تؤذيه، من يتق الله في تربية أولاده يجعل الله له مخرجا من عقوبه، من يتق الله في كسب ماله يجعل الله له مخرجا من إتلاف المال أو مصادرته، أو من تجارة خاسرة، أو من صفة خاسرة، من يتق الله في التوحيد يجعل الله له مخرجا من الشرك، من يتق الله في صحته يجعل الله له مخرجا من المرض، آية واسعة جداً:

( وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا )

وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا

آية ثانية:

( وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا )

( سورة الطلاق )

التبسيير والتعسیر.

( يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ )

( سورة البقرة الآية: ١٨٥ )

الله عز وجل قد يسمح لك بعمل نتائجه تعسیر لأمورك، لأنك أنت اخترته، فيسمح لك بعمل أنت مخير، ونتائج هذا العمل تعسیر لأمورك، لكن:

( يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ )

( وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ )

( سورة البقرة الآية: ١٨٥ )

هذه آية مهمة جداً.

إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا

أيتها الإخوة الكرام، يقول الله عز وجل:

( إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا )

( سورة الشرح )

خرج النبي عليه الصلاة والسلام يوماً مسروراً فرحاً، ضحاكاً وهو يقول:

(( لَنْ يَغْلِبَ عَسْرٌ يُسْرًا، إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ))

[أخرجه الحاكم في المستدرك عن الحسن]

الكلمة إذا تكررت، وكانت معرف فهي بمعنى واحد، أما إذا جاءت نكرة، وتكررت فهي بمعنى آخر، لذلك صار عندنا عسر واحد ويسران، ولن يغلب عسر يسران.

لذلك يقول عليه الصلاة والسلام كتطبيق عملي: أنتم أيها المؤمنون يسرعوا ولا تعسروا، بشروا ولا تنفروا، وسدوا وقاربوا، كما أنك تزيد من الله أن ييسر عليك، أنت يسر على من حولك.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:  
(( قَالَ رَحِيمُ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا افْتَضَى ))

[ البخاري ]

قانون التيسير والتعسير أصله هذه الآية:

( وَمَنْ يَئْتِيَ اللَّهَ بِحَاجَةٍ فَيَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا )

والحمد لله رب العالمين